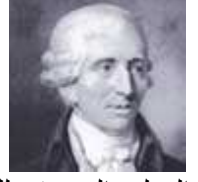


تاريخ ونشأة "أنشودة ألمانيا"



المؤلف الموسيقي للنشيد الوطني: فرانتس يوزيف هايدن (1732 – 1809) (Franz Josef Haydn)



مؤلف نص النشيد الوطني : أوجوست هاينريش هوفمان فون فاليرسليبين (1798 – 1874) (Fallersleben)

1. التاريخ المتقلب لـ "أنشودة ألمانيا"
2. نشأة النص واللحن
3. "أنشودة الألمان" في طريق تطورها وصولاً لأن تكون النشيد الوطني

1. التاريخ المتقلب لـ "أنشودة ألمانيا"

النشيد هو شكل من أشكال الغناء الاحتفالي. كان دور النشيد الوطني في الماضي يتمثل في الاحتفاء بالحاكم أساساً، على أقل تقدير في القرن الثامن عشر الذي شهد موجة أولى الأناشيد الوطنية. فيما بعد استقرت معظم الأناشيد الوطنية في غمار الثورات أو معارك التحرير الوطنية على الشكل الذي نعرفها عليه حالياً، ومن ذلك على سبيل المثال في فرنسا، في بولندا وفي الولايات المتحدة الأمريكية. وعليه ظلت القوة الرمزية الكبيرة للأناشيد الوطنية على حالها بالنسبة لمواطني هذه الدول. ومن ثم فإن الأناشيد الاحتفالية الشعبية ترمز لتراث وطني واع بالذات لم تقطع عراه إلى أيامنا هذه.

غير أن الأمر يبدو مختلفاً في ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الأخيرة. وعليه أحجم القانون الأساسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية في عام 1949 عن تحديد نشيد وطني لألمانيا، حيث أن بعض المواضع في نص "أنشودة ألمانيا" الذي كان سارياً لحينه والتي تستدعي صورة "لألمانيا التي هي فوق الجميع" – لاسيما في المنطقة الواقعة بين نهر الميوز، نهر نيمن، نهر أدبيج ونهر البلبيت، لم تعد مناسبة لنشيد وطني ألماني، حتى وإن كان يقصد بهذه المواضع المذكورة في "أنشودة ألمانيا" عند نشأتها أمور مختلفة تمام الاختلاف عن تطورها اللاحق.

2. نشأة النص واللحن

كان مؤلف نص النشيد الوطني أوجوست هاينريش هوفمان فون فاليرسليبين (1798 – 1874) أستاذاً للأدب. كان هذا الرجل ديمقراطياً راديكالياً وأحد أنصار ما يسمى بـ "أصحاب الفكر الحر" – وهي حركة رائدة لليبرالية في ألمانيا –. في عام 1842 فقد الرجل وظيفته كأستاذ للأدب وعلم اللغة في جامعة فروكلاف Breslau في المقام الأول بسبب آرائه في "الأناشيد غير السياسية"

كتب هوفمان فون فاليرسليبين "أنشودة الألمان" في أحد أيام شهر أغسطس / آب 1841 في أثناء إحدى أجازات الصيف في جزيرة هلجولاند التي كانت لا تزال تتبع آنذاك إنجلترا. بعدها بقليل، أي في الرابع من سبتمبر / أيلول، أصدر الناشر فريدرش كامبه في هامبورج الطبعة الأولى من القصيدة. أقتبس للكلمات لحن الموسيقار الألماني يوزيف هايدن "حفظ الله القيصر فرانتس، قيصرنا الصالح فرانتس".

وعليه فإن أصل لحن النشيد الوطني الألماني هو مديح ملكي. ألف هايدن (1732 – 1809) اللحن بشكله البسيط في عام 1796. في 12 فبراير / شباط 1797 قدم النشيد لأول مرة باسم "نشيد القيصر- " بمناسبة عيد ميلاد العاهل النمساوي فرانتس الثاني.

فيما بعد تناول هايدن لحن "نشيد القيصر" بمزيد من المعالجة في الجملة الثانية (الجملة التتويجية) من الرباعي الوتري مصنف رقم 76,3. أُطلق على هذا الرباعي استنادا إلى لحنه اسم "رباعي القيصر".

استهدف هوفمان فون فاليرسليبين من نصه شكلا من أشكال الإسقاط على وحدة الأمة الألمانية التي بدت آنذاك حتما يُتغنى، إذ أن المنطقة التي كانت تتحدث في مجموعها الألمانية كانت تتكون في عام 1815 من 39 دولة منفردة (قيصرية، خمس ممالك، إمارة انتخابية، سبع دوقيات كبرى، عشر- دوقيات، إحدى عشرة إمارة وأربع مدن حرة) اتحدت جميعها في مؤتمر فيينا مكونة الاتحاد الألماني. لم يكن هناك رئيس دولة مشترك ولا وحدة إدارية أو تشريعية ولا وحدة اقتصادية أو جمركية ولا جيش موحد.

لذلك طالب في المقام الأول كثير من المثقفين الناقدون علناً بتجاوز الانقسام إلى دويلات وسيادة الأمراء وتأسيس دولة ألمانية قومية.

دوت نغمت النشيد لأول مرة في 5 أكتوبر/ تشرين أول من عام 1841 بمناسبة مسيرة بالمشاعل في مدينة هامبورج.

3. "أنشودة الألمان" في طريق تطورها وصولاً لأن تكون النشيد الوطني

ومع ذلك استغرق الأمر فترة زمنية امتدت إلى تأسيس الرايخ على يد بسمارك في عام 1871 إلى أن حققت أنشودة "ألمانيا، ألمانيا فوق جميع الأماكن" انتشاراً شعبياً. غير أن هذا الانتشار لم يكف ليصنع من الأغنية نشيداً وطنياً. تم استبدال أنشودة "حماة الراين" بأنشودة "لك الحمى مكللا بإكليل النصر، حاكم الوطن". علاوة على ذلك لم تعد ألمانيا في تلك الأعوام من رأى ناقداً أن المقطع الأول تخطى كل الحدود المقبولة؛ فجل نهر ميوز Maas كان يمر عبر فرنسا وبلجيكا، ونهر أديج Etsch كان يجري في إيطاليا، أما نهر بليت Belt فكان يتبع الدنمارك، بينما نهر نيمم Memel في أيامنا هو نهر لیتواني.

تم التغني رسمياً بـ "أنشودة ألمانيا" لأول مرة في عام 1890 حينما أصبحت جزيرة هيلجولاند مجدداً ملكاً لألمانيا مقايضة بجزيرة زنبار الأفريقية.

في 11 أغسطس/ آب 1922 رفعت أول حكومة اشتراكية ديمقراطية "أنشودة ألمانيا" لمقام النشيد الوطني، وذلك بعد 81 عاماً من نشأتها بالتمام والكمال، حتى إن لم تستخدم كلمة "النشيد الوطني" في حد ذاتها. يرر رئيس الرايخ فريدرش إيبرت هذا الاختيار في خطبة احتفالية قال فيها الآتي: "الاتحاد والحق والحرية! عبّرت هذه النغمت الثلاثة المتألفة من أنشودة الشاعر في أوقات التمزق الداخلي والقمع عن ما كان لدى كل الألمان من حنين، وعلى هذه الأنشودة أن تصحب في أيامنا هذه طريقنا الصعب تجاه مستقبل أفضل...". لفترة قصيرة أضيف إلى الأنشودة في جمهورية فايمار مقطع رابع سرعان ما سقط ضحية النسيان.

ولعله من سخرية التاريخ المرة أن الاشتراكيين الديمقراطيين قد قدموا لهتلر نشيد الدولة بما في ذلك المقطع الأول الذي أسبى استغلاله بشكل وخيم العواقب. أسابيع قليلة بعد استيلائهم على الحكم مزجت قيادة النازية هذا النشيد بأغنية كفاحية من أغاني كتيبة الاقتحام التابعة لحزب العمال النازي. منذ ذلك التاريخ بدأ التغني رسمياً بعد المقطع الأول من "أنشودة ألمانيا" (المقطعان الآخران تم حظرهما) بأنشودة هورست فيسل.

بزوال الرايخ وضعت "أنشودة ألمانيا" بدورها على قائمة المحظورات، حيث جعل الحلفاء غناءها أمراً يعاقب عليه القانون. ومع ذلك فقد تم التغني بها مجدداً بشكل غير قانوني لأول مرة في عام 1948 في مؤتمر شعبي نظمته حزب الرايخ الألماني في مدينة فولفسبورج. على ما يبدو استهان السياسيون والمحتلون في هذه المسألة بحاجة الألمان لاستبقاء التراث كما اعترف بذلك الرئيس الألماني الأول تيودور هويس فيما بعد. لذلك تقدم نواب العديد من الأحزاب بعبء تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية مباشرة بطلب لإعلان كافة المقاطع الثلاث نشيداً وطنياً.

أما هويس فقد كان على العكس من ذلك راغباً في الإعلان عن البداية الجديدة للديمقراطية في ألمانيا من خلال نشيد وطني جديد أيضاً. وعليه استبدل هويس في بادئ الأمر في أغسطس/ آب من عام 1950 "أنشودة ألمانيا" باللحن "سلمت نفسي". في ذات الوقت كلف كل من الشاعر رودولف أليكساندر شرودر والمؤلف الموسيقي كارل أورف بكتابة نشيد وطني جديد للألمان. وبما أن أورف رفض التكليف فقد حل محله هيرمان رويتر وألف النشيد الوطني الجديد "بلد الإيمان، بلد ألماني" الذي قدم لأول مرة في عشية رأس سنة 1950. غير أن الشعب لم يستحسنه، حيث لم يجد العمل صدقاً لدى الألمان: في أحد

الاستطلاعات التي أجريت في خريف عام 1951 أبدى ثلاثة من كل أربعة ألمان غربيين تم سؤالهم عن رغبتهم في الاحتفاظ بـ "أنشودة ألمانيا"، كما طالب ثلث الموافقين إلا قليلا أن يتم التخلي بالمقطع الثالث بدلا من المقطع الأول. ومع ذلك ظلت "أنشودة ألمانيا" بكاملها محظورة من قبل الحلفاء.

شعر المستشار الألماني كونراد أديناور بهذا في أبريل/ نيسان حينما قام في البرلمان بشكل استعراضي بدندنه النشيد الوطني القديم ليتسبب بذلك في حدوث فضيحة سياسية. فحتى عندما قام غالبية النواب المأخوذون به بالمشاركة في الغناء وعندما وصلوا إلى المقطع الثالث أظهر من حضر من المفوضين السامين للقوى المنتصرة استيائهم. بالنسبة للشعوب الأخرى تضمنت نغمات هذا اللحن نعرات التفوق العرقي المحمومة واشتفاء السيطرة على العالم التي عُرف بهما النازي. في احتفال بعيد ميلاده الخامس والسبعين أو عز أديناور في مطلع عام 1951 إلى الواقفين على أعتاب مجلس بلدية مدينة بون بدندنه المقطع الثالث معه. غير أن الفرقة الموسيقية حالت بينه وبين رغبتة حيث أن النشيد الوطني القديم لم يكن موجودا في برنامجها الموسيقي. بالرغم من ذلك فإن المستشار الألماني حقق في آخر الأمر ما كان يريده. وعليه قرر المجتمعون في مؤتمر الحزب المسيحي الديمقراطي في مدينة كارلسروها في أكتوبر/ تشرين أول من عام 1951 بالإجماع التقدم بطلب للرئيس الألماني هويس بروجون فيه رفع الحظر عن "أنشودة ألمانيا"، أو على الأقل أن يسمح للمقطع الثالث أن يتواصل مع التراث الألماني. وفي منشور موجه من الحكومة الألمانية ذكر أديناور بعد فترة وجيزة أنه ليس هناك نشيد ألماني آخر ضارب في أعماق وجدان الشعب الألماني كهذا.

بعدها، أي في مايو/ أيار، حقق أديناور بعد خطابات متبادلة مع الرئيس الألماني هويس مراده: في المناسبات الحكومية أخذ المقطع الثالث من قصيدة هوفمان فون فاليرسليبين يتردد أصداءه من جديد. لكن ظلت هناك قضية اختلف فقهاء القانون لمدة 38 عاما بعدها بشأنها دون الوصول لنتيجة ما، ألا وهي: هل بهذا رفع هذا المقطع فقط لمقام النشيد الوطني أم كامل "أنشودة ألمانيا"؟ لم تأت الإجابة إلا في مارس/ آذار من عام 1990 حينما وجد قضاة المحكمة الدستورية أن المقطع الثالث من النشيد الألماني هو وحده الذي يتمتع بحماية القانون الجنائي الألماني.

وعليه فإنه ليس هناك إلى الآن قانون رسمي بشأن النشيد الوطني لجمهورية ألمانيا الاتحادية.

وكل ما حدث بعدها هو أن الرئيس الألماني في حينها ريشارد فون فاينسكار اتفق في نوفمبر/ تشرين ثان من عام 1991 عبر خطابات متبادلة مع المستشار الألماني هيلموت كول – استنادا إلى المراسلات التاريخية بين هويس وأديناور قبل أربعين عاما خلت – على إعلان المقطع الثالث من "أنشودة ألمانيا" نشيدا وطنيا أيضا لألمانيا الموحدة.

المصدر: www.bundesregierung.de